بـروم داري

نشرة دورية سنوية. تصدرها جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سه بتواون

اليوم القرآني {الدورة الرابعة}

تحت شعار:

«التّصوف السّنّي هو المخرج من المشكلات المعاصرة»

- الشيخ محمد المنصور سه خالدية معلم، وديمومية مرب.
- التصوف السني في مواجهة المشكلات المعاصرة.
- في ذكرى بروم داري
- التصوف السني : حلا ومخرجا من المشكلات.
- قصيدة "مشربي"

اللجنة العلمية لليومية

2019-1440

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الواحد الصمد المبين، الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، المتفرد بجلالته، والمرتدي بكبرياءه، والمنزه في سلطانه عن كل ما لا يليق بكماله، الذي يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، باعث خير المرسلين إلى خير أمة أخرجت للناس أجمعين.

ثم الصلاة والسلام على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم، الصراط التام الأسقم مصباح الدجى ومنتهى الدنو و العلى مولانا الشفيع المشفع سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة ومن تبعهم بإحسان إلى الدين.

وبعد:

فمن سنة الله تعالى في أرضه أن يبعث في كل حقبة خيارا يروحون في سبيل رفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى، مذ أن أشرقت شمس الإسلام وتسربت أشعتها في مشارق الأرض ومغاربها،لما تجلت فيهم من آياته الكبرى التى جعلتهم معالم الحق ومنابر الرشد{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...} يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولقد حوت الصوفية قصب السبق في نشر الدعوة الإسلامية، وتوسيع نطاق تعليم الدين المحمدي، بصدق مجاهداتهم النفسية ومقاومتهم الجهادية، المزودة باستراتيجيات وسياسات تنبثق تعاليمها من المعين الرباني الصافي، فهيّؤوا النفوس لامتثال أوامر الربّ، والقلوب لإيمانه، والأرواح لتلقي أنواره، والأبدان للتضحية في سبيله، فكانوا في ذلك متنافسين {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}.

وبهذا المنهج القرآني، قامت الصوفية لتربية الناس وتوجيههم إلى أن أصبحوا {رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب}، فانتصبت همتهم قائمة قولا وفعلا بلا هوادة ولا هبالة ولله در القائل فيهم:

قوم همومهم بالله قد علقت
فما لهم همٌّ تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

كما قيل: التصوف هو روح الإسلام وركن هذا الدين الحنيف، وذروة سنامه، سواء سمي بالتصوف أو بالإحسان أو بالربانية أو بالتنسك أو بالتزكية أو بالفقه الباطن. وهكذا عرفه الراسخون في العلم قديما وحديثا. وقد اتضح لنا من خلال تفقد مدلولات التسمية أنها (كلمة التصوف) تستهدف أشرف المعاني .

وفي هذا السياق، تعود جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي في دورتها الرابعة ليومها القرآني، لتقدّم إليكم سطورا- كعادتها- في مختلف العناوين من جهود اولئك السادات الكرام راجية من الله تعالى أن ينتفع بها القراء جميعا، وأن تكون مخرجا للعالم من جميع المشكلات والمعيقات المعاشة.

فالله ولي ذالك وهو القادر عليه وعلى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير نعم المولى ونعم النصير.

بقلم/الحاج مود مالك صو

بقلم / مود مالك صو

الشيخ محمد المنصور سه خالدية معلم، وديمومية مربّ.

إنّ من آثار نعم الله على الأمّة المحمّدية أن يجعل علمائها ورثة الأنبياء يعلّمون أبناء الأمّة الكتاب والحكمة، ويزكّونهم، ويربّونهم وفق ما يحبّه الله تعالى وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولا يختلف اثنان أنّ صاحبكم ـ الشّيخ محمّد المنصور سه ـ هو واحد من بين هؤلاء العلماء الّذين ورثوا مهنة النّبي صلّى الله عليه وسلم وهي التّعليم و التّربية. ولعلّ كنيته الشّهيرة «بروم داري»[صاحب الكتاتيب] خير شهيد على ذلك، فضلا عن أنّ المجتمع أيضا قد شهد بأنه ـ رضي الله عنه ـ كان معلّما ومربيا مدى حياته.

لمحة يسيرة في التعريف بالشّيخ محمد المنصور:

هو العالم العلاّمة الشّيخ محمد المنصور ابن السّيد أبي بكر سه ابن العارف بالله الحاج مالك سه رضي الله عنهم. ولد الشّيخ محمّد المنصور في 15/8 /1925م في مدينة تواوون المحروسة، وانتقل إلى جوار ربّه الأعلى يوم السّبت 15/12/ 2012 عن عمر يناهز 87 عاما في حياته الثّمينة.

تولّى الخلافة التيجانية بعد وفاة عمّه مولانا الحاج عبد العزيز سه [الدّباغ] الذي رشّحه لهذا المنصب الرّبّاني، وذلك قبل أسبوع فقط من لحوقه إلى الملإ الأعلى.

نبذة عن حياته الدراسية:

منّ المعلوم أنّ الشّيخ الحاج مالك ـ رضي الله عنه ـ لمّا جاء في تواوون عام 1902م أنشأ فيها كتّابا كبيرا ومشهورا بالعلم والأدب، تخرّج فيه آلاف من علماء وحكماء وأدباء. ففي هذه البيئة العلميّة نشأ الشّيخ محمّد المنصور، فدرس القرآن الكريم في صغره وحفظه على يد الشّيخ مامَ لوح، ثم تلقى العلوم الإسلامية واللّغة العربية على جماعة من أكابر علماء تواوون أمثال الشّيخ

عليّ غي الفقيه الأديب، والشّيخ شيبة فال المشهور بعلم النحو، والشيخ مختار صل، والشيخ إبراهيم جينغ، كما درس كثيرا من والده الخليفة أبي بكر سه الذي كان يولي لتعليمه اهتماما بالغا. وقولته المشهورة له ولإخوته «لأسبقنّ الزّمان فيكم قبل أن يسبقني في إعدادكم» تدل على تفانيه في تكوينهم وتثقيفهم، رضي الله عنهم أجمعين. وكان للشّيخ محمّد المنصور رفيقان و أخوان في الدّرب العلمي، وهما: الشيخ أحمد التجاني سه، والشّيخ صالح سار رضي الله عنهما.

وقد صار محمّد المنصور علاّمة في شبابه يتقن فنونا كثيرة. وهذا عمّه الشّيخ الحاج عبد العزيز يؤكّد ذلك في قوله:

يا سيبويه زمانه بل قُسَّهُ
علما وفهما دونما نكران
أو مسلما إن كنت جاهل ما رُوي
عن صاحبِ الآيات والبرهان

محبّته العلم و التعليم:

إن العَالِمَ لا بُدّ أن يُحبّ العلم، بيد أن صاحبنا هذا كان يحبّ العلم حبّا يعجب جميع معاصريه. فكان حريصا على العلم، وبناء على ذلك كان يحبّ طلاب العلم ويشجعهم، وينفق مالا طائلا لنشر العلم والثّقافة، ومما يدلّ على ذلك أنه ـ رضي الله عنه ـ جلس لمدّة 35 عاما في كتّاب أبيه يعلّم طلاب العلم ويربّيهم وقد سمعتُ من أخيه الشّيخ عبد العزيز سه الأمين ـ رضي الله عنه ـ يقول أنّ الشّيخ محمّد المنصور كان يبدأ التّدريس من الصّباح إلى اللّيل، يجمع فطوره وغداءه وعشاءه في مجلسه، دون أن يلتفت إلى آنية من تلك الأواني لتركيزه على عمله. فهذا ـ أيّها القارئ العزيز ـ هو غاية المحبّة.

وبعد شيخوخته كان ـ رضي الله عنه ـ يبذل علمه الغزير في المحاضرات والمناسبات، ويؤلّف مؤلّفات كثيرة، ويرسل العلماء الذين أخذوا العلم منه إلى مناطق شتى لينشروا العلم والثقافة.

ورضي الله عن عمّه العلاّمة الحاج عبد العزيز [الدّباغ] الذي شهد له بذلك في قوله:

بالعلم و التعليم فقتم غيركم
والبذل والإنفاق و الإحسان

الفنون التي كان يدرّسها:

كان [صاحب الكتاتيب] يُدرّس جميع الفنون التي تشمل اللّغة العربية والشّريعة الإسلامية، من فقه، وحديث وتصوف، وسيرة، وأدب، ونحو، وعروض، ومنطق، وبلاغة، وغيرها.

وفي هذا الصّدد يقول تلميذه الحاج مالك صو في مرثيته:

من لي بشيخ في العروض ومنطق
حِكم بيان سيرة وينير
من لي بشيخ في الأصول وفقهها
نحو نجوم كلّها موفور

المنهج التّعليمي عند الشّيخ محمّد المنصور:

كان للشّيخ محمّد المنصور منهجه في

تعليم الطّلاب. فيعتمد على شيئين أساسيين:
1:التّلقين ـ 2: التّعويد.

فالتّلقين هو الجانب النّظري حيث كان الشّيخ يُلقن الطّلاب الدّروس في مجالس العلم وفي المحاضرات والمناسبات. فكان ـ رضي الله عنه ـ يُعلّم بضرب الأمثال التي يعرفها الناس، ويوضح المعاني بأمور محسوسة تُقرّب المعنى، وتُزيل الإشكال وترفع الوهم، ويُعلّم بالقصص الجذّابة الخلاّبة التي تثير في النّفوس الإعجاب والإنصات والاستجابة.

أما التّعويد هو الجانب العملي التّطبيقي في التكوين والإعداد. فهذا الجانب لا يُستغنى عنه، لأن المعلّم أو المربّي يكون فيه المثل الأعلى في نظر الطّالب والأسوة الصّالحة في عينه، يقلّده سلوكيا، ويحاكيه خُلقيا من حيث يشعر أولا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورتُه القولية و الفعلية من حيث يدري أو لا يدري. وعلى هذا كان الشيخ محمد المنصور ـ رضي الله عنه ـ يستعمل هذا المنهج لتربية الطّلاب فيأمرهم بالمعروف وهو أول من يفعله أمامهم، وإذا نهاهم عن المنكر يكون أول من يجتنب عنه. ولا شك أن هذا المنهج هو الذي استعمله المربّي الأوّل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

تربيته الطّلابَ على الأخلاق الحميدة:

من السّهل على المربّي أن يُلقن الطّالب منهجا من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الطالب لهذا المنهج حين يرى من يُشرف على تربيته غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبّق لأصوله، ومن هذا المنطلق كان الشّيخ محمّد المنصور لا يكتفي بتلقين الطّلاب الأخلاق الحميدة فحسب، بل يلقّن ويطبّق ليقتدي به الطّلاب، فكان مثلا كاملا وأسوة صالحة ومنارا هاديا لهم، يربّيهم على الأخلاق الحميدة. ولكم بعض الأخلاق الطيبة التي ربّاهم عليها:

ـ السّخاء والكرم: فقد شهد الجميع بسخاءه ـ رضي الله عنه ـ فكان يُعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفاقة وينفق ماله في سبيل الله سرّا وعلانيّة. فكم من فقير أصبح غنيّا بعطيّته؟ وكم من مسلم حجّ بيتَ الله الحرام بنفقته؟ فكثيرا ما كان يُردّد الحديث « أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا» فقد صدق عمّه الدّباغ الّذي شبّهه بـ[حاتم] المشهور بالجود و الكرم في العصر الجاهلي، وذلك في قوله:

يا قرّة العينين يا كنز الغنى
للطّامعين وحاتم الأقران

وما كان الشّيخ يكتفي بالإنفاق فحسب، بل كان يأمر به طلاّبه أيضا، وأحيانا قد يعطي تلميذا مبلغا من المال ويأمره بإنفاقه، ليعوّده على ذلك.

والجدير بالذكر أنّ ما ذكرناه آنفا من جود الشّيخ وكرمه كان مثلا لطلابه فاقتدوا به.

ـ الحلم: إنّ الأخلاق الحسنة تتفاوت في مقامها ومراتبها، وإن كان كلّها من المأمور شرعا الإتيانَ بها والتّطبّع بها إلا أنّ خلق

الحلم من أعلاها وأسناها وأرفعها منزلة، وهو أيضا من الأخلاق المحبوبة إلى الباري، وعلى هذا كان الشّيخ محمّد المنصور يتخلق

بهذا الخلق الكريم. فكان حلمه مضرب الأمثال بل كان يربّي التلاميذ على هذه السّجية العظيمة بقوله وعمله.

ـ الصّدق: من المعروف أن الصّدق منجاة وهو أول دروب الخير وصفة المؤمنين، امتدحه الله سبحانه وذكره من أوصاف أهل الجنّة وأمر النّاس به، لذلك كان الشّيخ محمّد المنصور صادقا ـ رغم حلمه ورفقه ـ لا يخاف في الحق لومة لائم، وكان يربّي التّلاميذ على ذلك نظريّا وتطبيقيّا. وكثيرا ما سمعناه يكرّر قول جدّه: «الصّدق زينة المُريد * أعاذنا الله من المَريد »

ـ الشّجاعة: كان الشّيخ محمّد المنصور قادرا على مواجهة الصّعاب و المخاطر والظّلم والقهر، ويتغلّب على مصاعب الحياة بإيمان وصبر وتحمّل وعدم الضّعف، ولا نسمّي ذلك إلا شجاعة. فكان ـ رضي الله عنه ـ شجاعا ويعلّم الطّلاب بأن الشّجاعة سبب من أسباب السّعادة، فإنّ الله يشرح صدر الشّجاع بشجاعته وإقدامه.

ـ حسن السياسة: فقد كان الشّيخ قدوة في حسن السّياسة. فقد حلّ أزمات كثيرة بأخلاقه الكريمة وبما أعطي من حسنً السّياسة. وإليكم هذا المثل العظيم لتعرفوا سياسته الحكيمة:

ففي حيّ (نيفلين) بمدينة كاسماس يوجد مسجد كبير وجميل غير أنه لم يكن يُسجد فيه، لأنه كان مغلقا لمدة 40 سنة لأجل نزاع دار بين قبيلة [جولا] وقبيلة [ماندينغ]، كلٌّ منهما يطلب إمامة المسجد. فكان الأمر كذلك إلى أن جاء هذا التاريخ الذي لا يُنسى: 15 ديسمبر 2006 م حيث زار الشّيخ محمّد المنصور المسجد، فكان خير وساطة بين الطّائفتين، وأصلح بينهما بالعدل والحكمة، وفتح المسجد. وعلى هذا سمّى أهل المدينة المسجد بـ {مسجد السّلام}.

وإن كان ذلك غيض من فيض من حسن سياسته، ومصالحته بين الخصماء إلا أنّه ليكفي درسا للجميع. وعلى ذلك كان يربّي تلاميذه.

تربية الطّلاب على محبّة النّبي صلى الله عليه وسلم:

ليس منّ المعقول أن نُنهي موضوعنا دون ذكر هذه النقطة، هذا لأن الشّيخ لغنيّ عن الوصف في محبته النبيَّ صلّى الله عليه وسلم، فكان يحبّه حبّا لا ساحل له، حيث لا تَسمع منه كلاما إلا ويكون الرّسول صلى الله عليه وسلم لبّ الحديث وأصله، فيتحدّث عن سيرته الكريمة، وعن أخلاقه المطهّرة، وعن صفاته الجميلة، و يُؤلّف فيه فيمدحه، ويدافع عنه من اعتداء الظّالمين المعتدين، وخير مثال على ذلك ما أصدرته عصبة من دوائر الغرب من الرسوم الكاريكاتورية يحاولون فيها تشوية واستهزاء صورة خير البشر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، فاستنكر الشّيخ ذلك في كتابه (الشؤمة على هامة البومة) الّذي حصل على إقبال جماهيريّ أدّى إلى ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية. وفي ختام الكتاب قصيدة مطلعها:

فتبّت يداكم أيها العصبة التي
تسيء برسم البدر سرّ البريّة
فشلّت يداكم بئس ما قد أثرتم
من الصّدر أضغانا لديكم كجمرة

إلى قوله:

ندافع عنه كلّما قام معتد

فأحمد حقا عزّنا أي عزّة

وممّا يدلّ أيضا على تفانيه في محبّة النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، اهتمامه بالمولد النّبوي الشّريف، فممّا خصّه الله به في إحياء المولد، أنه قرأ البردة خمسا وخمسين سنة على مسامع النّاس، كما كان يشرح في كلّ ليلة المولد من هذه السّنوات المتتالية فصلا واحدا من كتاب خلاص الذهب في سيرة خير العرب[1] فكان يعجب الكثيرين من علماء عصره بتبحره في السّيرة النّبوية الموجودة في شتات الكتب العلمية كخلاص الذهب والنّونيّة وغيرهما، فظل بذلك مربط الإصغاء ليلة المولد لتميز خطاباته بأعلى مستويات الإعداد العلمي[2] وفي هذا يتربّى من يجالسه أو يستمع إلى حديثه بحبّ النّبي صلى الله عليه وسلم(فكل قرين بالمقارن يقتدي).

تربية الطّلاب على العمل و الاحتراف:

كان الشّيخ محمّد المنصور فلاّحا كبيرا، له حقول في قرى مختلفة، فكان يُنتج في كل سنة أطنانا من منتجات زراعية، يرافق التّلاميذ في ذلك ليربيهم بالعمل ويعوّدهم على الاعتماد على النفس لا على الغير، كما كان يحثّهم دائما على الاحتراف متردّدا قولة أبيه: من كان ذا حرفة فليحيها أبدا...

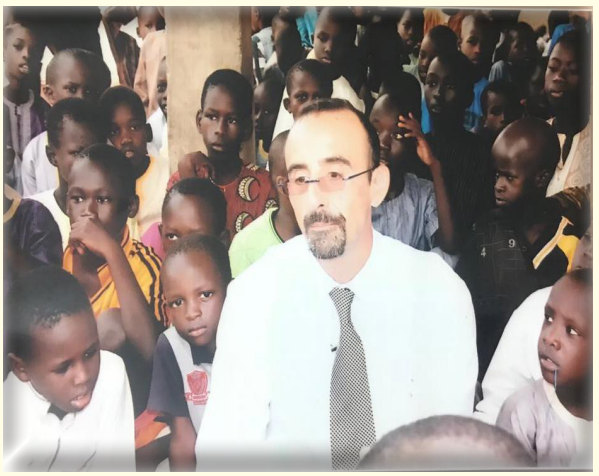

تربية الطّلاب على حبّ السّلام وإفشاءه:

فما ذكرناه آنفا من المسجد الّذي فتحه بكاسماس لمثال حيّ لحبّه السّلامَ وإفشاءه، أضف إلى ذلك ما كان يقوم به من مصالحة بين الخصماء. فكم من نار للحرب أطفأها بقوله وعمله؟ ولعلّ ـ أيها القارئ الكريم ـ تتذكر خطابه الأخير في الاحتفال الرّسمي بالمولد عام 2012م حيث كانت الكلمة الأخيرة من الخطاب كلمة {السّلام} مكرّرة أكثر من خمس مرّات.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يدعو النّاس إلى جوّ التّفاهم وإفشاء السّلام، وذلك باجتناب انتهاك مشاعر بعضهم بعضا، على حد قوله:

على أسرة الدّنيا شعوبا وقادة

وفاق لمنع المسّ حرمةَ جلّة

ونهي انتهاك للمشاعر إنّها

ليضمن عيشا هنيّا للخليقة

فيحيا الورى جوّ التّفاهم هكذا

دعا ديننا الإسلام أمثل ملّة

فكان الشّيخ ـ رضي الله عنه ـ يعوّد التلاميذ ويربّيهم على حبّ السّلام وإفشاءه بيده وبلسانه.

فَهَاكُم المعلّم والمربّي الّذي سهر مدى حياته على التّربية والتّعليم حتى تخرّج في مدرسته نخبة متميزة من علماء وحكماء وفقهاء ومحدثون ومفتون وخطباء، صاروا فيما بعد مصابيح للأمة الإسلامية وأئمة في شتى ربوع العالم. وجزى الله تلميذه القائل في حقه:

قبل المباني قد بنيت شعوبة

خلفتهم بين الأنام بدور

فجزاه الله عن الأمّة الإسلامية خير الجزاء.

محمّد المنصور سَيْ ابن المرحوم الحاج عثمان سَيْ رضي الله عنه، مدينة فال ـ تياس

مِنْ خِريجي كتّاب الشيخ محمد المنصور سه بتوآون المحروسة.

١دور الكتاتيب في بناء المجتمع، الشيخ محمد المنصور نموذجا. من مجلات جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سه / إصدار:2016/ ص 11

٢ نفس المرجع ص 10.

التصوّف السّني في مواجهة المشكلات المعاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله وسلّم على الفاتح الخاتم وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد

إنّ العالَم اليوم يعاني سلسلة من المشكلات والأزمات في جميع المجالات والنّواحي(اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وبيئيا وثقافيا....) مشكلات تتوالى وتتعاقب، وأزمات بعضها فوق بعض، وكلّها نتيجة لما كسبت أيدينا (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) فقد صارت القلوب قاسية لا تخشع، والعيون جامدة لا تدمع، والآذان صمّاء لا تسمع.

ففي المجال الاقتصادي – مثلا – نرى أنّ الرشوة أصبحت منتشرة جدا، وأمسى الربا أمرا مستهانا لا يؤبه بخطورته.

وفي الجانب الديني، ظلّ يتكلّم ويفتي فيه من بضاعته مزجاة في العلم والفقه.

كما نجد أنّ الساحة السياسية ملوّثة جدّا بالسباب واستحلال الأعراض، فالسياسيون يتنابذون بالألقاب ويتشاتمون فيما بينهم، ناسين أو متناسين بأنّ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

وعلى الصّعيد الاجتماعي أضحت العلاقات الاجتماعيّة متدهورةً فيما بين الإخوة وذوي أرحامهم، وذلك على مرأى ومسمع من الجميع.

وكل هؤلاء يدّعون أنهم مسلمون، يصلّون ويزكّون ويحجّون و...، فما المشكلة إذن؟

المشكلة أنّنا نعاني من فراغ روحيّ مخيف، نتيجة إقبالنا الشّديد على الدّنيا وإعراضنا عن ذكر الله، وهذا ما جاء التّصوّف لمعالجته، ذاك التّصوّف السّني الحقّ الّذي يهدف إلى تزكية النّفس وتهذيبها عن الرّذائل للارتقاء بها إلى حضرة الرب بدوام المراقبة

للمولى عز وجلّ، ذلك التصوف الذي كان أصحابه في مرتبة الاحسان، يراقبون الله في كل صغيرة وكبيرة، ولا يخطون خطوة إلاّ ويسألون أنفسهم اللّه فيها رضا، ويضعون نصب أعينهم سنةَ الَحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه خير مثال للمتصوف السني الذي كان يراعي ربه في كسبه ومأكله ومشربه وملبسه ويتحرّى الحلال في كل شيء، فلو أننا جميعا اتصفنا بشيء من أخلاقهم، وأخذنا ورعهم وتمسُّكهم بالسنة الحنيفة – بدلا من دعوى الانتماءات الشّكلية – لمَا عانينا أي مشكلة ولا أزمة مما نعانيها اليوم، لكن للأسف الشديد أصبح الدينُ – في هذا العصر الحالك – سلعةً تباع وتشترى، وكثر مدّعو التصوف، والتصوف منهم بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وابتعدنا عن تعاليم شيوخنا الأجلاء، وأخللنا الشروط التي بنى عليها طرقهم، فمحافظتنا على حضور الدوائر والحفلات، أشدّ على محافظتنا على الاجتماع للوظيفة وصلاة الجماعات.

فهل من عودة إلى تعاليمهم الغراء وهل من تأسّ بأعمالهم الجليلة؟

إعداد الأستاذ: عبد العزيزكولي تواوون

في ذكرى بروم داري!!

تحن النفوس- عند اقتراب أو حلول بعض المناسبات -إلى شخصيات بعينها حنيناً منقطع النظير، وتشتاق أفئدة المحبين إلى رؤيتها ومشاهدتها، حتى وإن أصبح تحقيق هذه الرغبة أو تجسيد هذه الأمنية في حكم المستحيل، وتزداد وطأة الألم العاطفي والفقدان الحسي إلى مثل هذه الشخصيات شدّة، كلما كثر حجم الذكريات والمواقف والأحداث واللحظات، التي تعيد إلى الأذهان الفراغ الوجودي الذي كان يملأه هذه الشخصية بحضوره وأعماله وأقواله وأفعاله.

وإذا كانت هذه الشخصية من النوع الذي ترك بعد رحيله فراغا عاطفيا هائلا، وهوة عميقة من الذكريات الجميلة والأعمال العظيمة، والمواقف المشهودة، والأحاديث الحسنة بعده، وخلف بعد غيابه أحبابا وتلاميذ ومريدين، تزامن أجمل ذكرياتهم في الحياة مع تلك اللحظات والأحداث التي عايشوها مع هذه الشخصية الراحلة الفذة التي غادرتهم، فإن حجم الجرح والأسى الذي ينقدح في قلوبهم لن يندمل بسرعة.

وبعض القيادات الدينية لتترك وراءها نفوسا حائرة، وقلوبا هائمة، وأفئدة شاردة، تتنكب على وجهها تتلمس المنهج السوي، وتستهدي الطريق المستقيم، والفقيد الشيخ محمد المنصور سه «بروم داري» كان من هذه الشخصيات، فلقد كان في قومه علم هدى، يهتدي به الناس في الظلمات، ومنارًا على جبل يسترشد بهم السائرون للاهتداء في سبيلهم، عاش في جيله نبراس علم، ينير دروب المتعطشين للمعرفة والحكم، ويسقي الظامئين العلم والفهم.

لقد ورث الشيخ محمد المنصور سه نهج جده، واقتفى درب أبيه، فَحوْلَ حلقته التف طلاب العلم، وبحوزته أحاط عشاق المعرفة إحاطة السوار بالمعصم، يغدق عليهم من علمه إغداق الوابل على الأرض الظمآن، ويسوق مرتاديها إلى مناهل العرفان وبحور البيان، وباع من أجل أن يربي جيلا من العلماء والحكماء أغلى وأنفس ما يملكه المرء في حياته: شبابه وكهولته وجزء من شيخوخته في هذه المعمعة، ليخرّج هذا الكم الهائل من القراء والدعاة والشعراء والعلماء.

ولكمْ كان المقام يطيب -في عهده -للزائرين والوافدين لأرض تواوون! يستقبل الجموع بأريحيته المعهودة، يحتفي بهم ببشاشة وجهه المعروف، وطلاقة محيّاه المألوف، فيحدثهم طرفا وحِكما، ويُسدي لهم نصائحا ومواعظا، يُهدّئ من روعهم، يُؤنس غربتهم، ويُصغي لأحاديثهم، يَدعو لمريضهم ومهمومهم، ومن طيب ماله يُكافئ ويحسن إلى محتاجهم ومعوزهم، وبعد كل ذلك يطرب جِلْسَتهم برونق ألفاظه ودرر معارفه عن سيرة صَاحب الروضة البهية؛ رسولنا وشفيعنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

{بروم داري أو بروم غَمُّكِ} كما اصطلح شعبيًا وعرفانًا على تسميته، اعتلى منابر المواليد النبوية في تواوون، مدة توازي نصف قرن من الزمن، يجني للناس قطوفا دانية من جنان «ديوان خلاص الذهب»، يحملّهم إياها زَادَ خيرٍ يتزودون بها من سنة إلى أخرى، يستلهمون دروسها ويستصحبون فوائدها، ويستنشقون أريجها، وما رجع الناس قطّ إلى مناطقهم بعد ليلة مولد أحياها {بروم داري}، إلا ونفوسهم راضية، وقلوبهم ممتنة، ولسانهم شاكرة لهذا الجهبذ الذي قلّ نظيره.

وإذا كانت الذكريات الجميلة والمواقف المجيدة تسجل تواريخها بمداد من الذهب، ويخلد ذكرى شخصياتها بتخصيص زمن أو مكان لهم تخليدا ووفاء وتقديرا، وتدرس في دور العلم ومعاهد المعرفة للأجيال القادمة سيرهم وحياتهم ومآثرهم، فإن الشيخ محمد المنصور سه يدخل في عداد هؤلاء الشخصيات الذين ينبغي أن نفتخر بهم، ونحيي ذكراهم، ولم لا وهو {بروم داري}؟

المفتش: سمب أم جو

التّصوف السّنّي: حلاّ ومخرجا من المشكلات

الصوفية أو التصوف هو مذهب إسلامي. وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به؛ وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليتها بالأخلاق الحسنة. وهذا المنهج يقولون أنه يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه ومدارسه ومجتهدوه وأئمته الذين شيدوا أركانه وقواعده ـ كغيره من العلوم؛ جيلاً بعد جيل حتى جعلوه علما سمّوه علم التصوف، وعلم التزكية، وعلم الأخلاق، فألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده.

يقول العالم العلامة عبد الواحد ابن عاشر في كتابه {المرشد المعين على الضروري من علوم الدين} المعروف ب {ابن عاشر}:

يصحب شيخا عارف المسالك
يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه
ويوصل العبد إلى مولاه
يحاسب النفس على الأنفاس
ويزن الخاطر بالقسطاس
ويحفظ المفروض رأس المال
والنفل ربحه به يوالي
ويكثرالذكر بصفو لبّه
والعون في جميع ذا بربه
يجاهد النفس لرب العالمين
ويتحلى بمقامات اليقين [1]

عقيدة الصوفية في الأولياء:

الولي عندهم هو: عبد لله، اختصه الله بعنايته وتوفيقه واصطفاه من بين عبيده، وهو عبد لا يضر ولا ينفع بذاته كباقي البشر، هو دون الأنبياء في المرتبة والمنزلة، إذ لا أحد يصل إلى رتبة الأنبياء مهما ارتقى في مراتب الولاية، لذلك فالولي ليس بمعصوم عن

١ - عبد الواحد بن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، قام بنشره التيجاني المحمدي صاحب مكتبة المنار بتونس بدون تاريخ.

الخطأ، إلا من عصمه الله. ويستشهدون بالآية القرآنية: (***ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون***) فالمتقون هم أولياء الله. وقد ورد تحذير في أحاديث النبي محمد، وذلك كما في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)

وقد قال أبو يزيد البسطامي : (***لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود، ومن ترك التقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وتلاوة القرآن وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع***)، وفي هذا دلالة واضحة على أن من يدخل في هذا المذهب ويعتنق مبادئه ثم يطرح عنه قواعد الشريعة المشيد عليها هو مبتدع مختلق، يحترف الصوفية فرارا من كلفات الدين ومشقات العيش.

وخلاصة الأمر أن التصوف تقلب كثيرا وتحرر كثيرا، وطرأ عليه ما يطرأ على سائر المذاهب عادة، ولكن التصوف الحقيقي ظل محترما في عيون الناس وقلوب الناس. وليس بوسعنا إخراج الحكم عليها من باب أحكام العلماء لاختلاف فتاواهم فيها وإنما علينا أن نستعرض مبادئها وقواعدها ونرى ما يلائم منهاجه منها سنة الحياة وما يباين، وهنالك القول الفصل

حركة التصوف:

انتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية. والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل محي الدين بن عربي وشمس التبريزي وجلال الدين الرومي والنووي والغزالي والعز بن عبد السلام كما القادة مثل صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح والأمير عبد القادر وعمر المختار وعز الدين القسام.

نتج عن كثرة دخول غير المتعلمين والجهلة في طرق التصوف ما نتج عن ذلك من ممارسات خاطئة عرّضها في بداية القرن الماضي للهجوم باعتبارها ممثلة للثقافة الدينية التي تنشر الخرافات، ثم بدأ مع منتصف القرن الماضي الهجوم من قبل المدرسة السلفية باعتبارها بدعة دخيلة على الإسلام.

إذا نظرنا إلى طبيعة كل من علم الكلام والتصوف، فإننا نجد أن طبيعة علم الكلام نظرية، إذ يبحث في الأصول الاعتقادية كوجود الله تعالى ووحدانيته وإرساله الرسل واليوم الآخر، بينما طبيعة علم التصوف عملية، فإذا بحثنا عن طبيعة التصوف فإننا يمكن أن نستخلصها من تعريف التصوف، ونجد هناك عدة تعريفات للتصوف يمكن إيجازها فيما يلي:

- إتجاه أخلاقي يربط التصوف بالسلوك والأخلاق فيقول البعض في تعريف التصوف: «***الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني***» وأيضا «***التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء***»
- اتجاه يربط بين التصوف والزهد والعبادة، وهذا الاتجاه يهتم بالوسيلة التي يتخذها المتصوف، ولقد عرف بين الصوفية الزهاد والنساك، يقول ابن خلدون: «***إن أصل طريقة المتصوفة لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف***

الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة».

- اتجاه ثالث يربط بين التصوف والمعرفة والمشاهدة ورؤية القلب وهو يعبر عن الاتجاه الروحي، والتجربة النفسية التي يحياها المتصوف، فالصوفي: ***«من صفّى ربُّه قلبه، فامتلأ قلبه نوراً، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله»***

وعلى هذا يتبين أن طبيعة التصوف عملية تهتم بالأخلاق والسلوك، وبذلك تفترق عن المسلك النظري لعلم الكلام. وهناك فرق آخر بين العلمين، يتعلق بالعلم والمعرفة وأداة المعرفة البشرية، فلقد فرق معظم الصوفية بين المعرفة والعلم، فالمعرفة تتطلب اتصالاً مباشراً، وهذا يعني أن معرفة الله معرفة مباشرة، العارف هو الإنسان والمعروف هو الله، وهذه المعرفة مباشرة دون واسطة إلا ذات المعروف نفسه وهو الله. أما لفظة العلم فلا يصح أن تكون مرادفة للفظ المعرفة عند الصوفية لأن العلم إنما يقوم على الحس أولاً، ثم يقوم على العقل ثانياً، فالمنهج في العلم حسي تجريبي عقلي، والتصوف لا يعول على الحس ولا يركن إلى العقل، إنما الصوفية أرباب أحوال وأصحاب أذواق وأحاسيس من قبيل الوجدانيات التي لا تعرف بعقل أو شيء من قبيل العقل إنما هي معرفة بالقلب، وهي لا تستمد من تجربة ولا معلم ولا كتاب، وإنما معرفة عن تجربة ذوقية باطنية، ومعرفة القلب الذي يعرف ويشاهد، لأنه هو الذي تذوق وهو الذي تحقق. والعلم بمعناه الصوفي الروحي يختلف عن علم الظاهر مثل علم الكلام والفقه والنحو وغير ذلك من العلوم، إذ كل ذلك من قبيل الدراسة، بينما عند الصوفية هو معرفة، وليس علماً يتدارس بين الخلق، ولا علم تستمد عناصره من العالم الطبيعي المحسوس، إنما هو معرفة أو عرفان. وعلى هذا يمكن القول بأن معرفة الله عند الصوفية طريقها القلب، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن ينال المعرفة الإلهية بواسطة حواسه، لأن الله ليس شيئاً مادياً يمكن إدراكه بالحواس، كما لا يمكن إدراك ذات الله تعالى بالعقل أيضاً، لأن الله وجوده غير محدود، ولا يدخل في الفهم والتصور ولا يستطيع منطق العقل البشري أن يتجاوز المحدود.

منهج التصوف السني القرآن والسنة

يرى أئمة التصوف أنهم متبعون للكتاب والسنة، وأن علمهم هذا كباقي العلوم الإسلامية من الفقه والعقيدة مستمد من الكتاب والسنة، دل على اعتقادهم بذلك أقوالهم، والتي منها:

- قول الجنيد: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام». وقال أيضا: «من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».
- قول سهل التستري: «أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسوله، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحَقوق».
- قول أبو الحسن الشاذلي: «إذا عارض كشفُك الصحيح الكتابَ والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام».
- قول أبو الحسين الوراق: «لا يصل

العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه في شرائعه، ومَنْ جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد».

- قول عبد الوهاب الشعراني: «إن طريق القوم – أي الصوفية – محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون».
- قول أبي يزيد البسطامي حيث سئل عن الصوفي فقال: «هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك».

ويستدلون أيضا على صحة توجههم بمواقف أئمة المذاهب السنية الأربعة الداعية إلى التصوف بمعناه الصحيح. أما معارضيها فيعتبرونها ممارسة تعبدية لم تذكر لا في القرآن ولا في السنة ولا يصح أي سند لإثباتها؛ وعليه فهي تدخل في نطاق البدعة المحرمة التي نهى عنها رسول الإسلام محمد.

طريقة التصوف مبني على الشريعة والطريقة والحقيقة

يقسّم الصوفية الدين إلى ثلاثة أركان رئيسية: هي الشريعة، والطريقة، والحقيقة – حيث يعتبره السلفيون أنه تقسيم بدعة في دين الإسلام، ولم يرد في صحته أي أدلة –. ويستدل الصوفية على صحة هذا التقسيم ما ورد بحديث نبي الإسلام محمد الذي اشتهر باسم حديث جبريل وهو مروي عن الصحابي عمر بن الخطاب، يقول:

بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون في البنيان. ثم انطلق. فلبث مليا ثم قال: ياعمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم.

فالحديث يذكر أقسام الدين كما يقولون، وهي:

- ركن الإسلام: وهو الجانب العملي؛ من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية. وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته الفقهاء.
- ركن الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي؛ من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر.

وقد اختص بدراسته علماء التوحيد.

- ركن الإحسان: وهو الجانب الروحي القلبي؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه الصوفية.

وللوصول إلى هذا المقام، والإيمان الكامل، لابد من سلوك الطريقة، وهي مجاهدة النفس، وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفات كاملة، والترقي في مقامات الكمال بصحبة المرشدين، فهي الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة. قال السيد في تعريفاته: «الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله، من قطع المنازل والترقي في المقامات.

ولتوضيح الصلة بين الشريعة والحقيقة يضربون لذلك مثلا الصلاة، فالإتيان بحركاتها وأعمالها الظاهرة، والتزام أركانها وشروطها، وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه، يمثل جانب الشريعة، وهو جسد الصلاة. وحضور القلب مع الله في الصلاة يمثل جانب الحقيقة، وهو روح الصلاة. فأعمال الصلاة البدنية هي جسدها، والخشوع روحها. وما فائدة الجسد بلا روح؟! وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه، فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقوم بها، ويستدلون على ذلك بالآية القرآنية: (أقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ). ولا تكون الإقامة إلا بجسد وروح، ولذا لم يقل: أوجدوا الصلاة.

فالشريعة عندهم هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة، وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فَمَنْ تمسَّك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولا تناقض، ولذلك يقول الصوفية في قواعدهم المشهورة: (***كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة***).

التصوف في العصر الحاضر:

التصوف ليس في حاجة إلى العودة إلى أساليب بعض متصوفة القرون الوسطى من الإغراق في المعميات واستحلاء ترديد الكلمات الجوفاء التي لا تحمل وراءها إلا جهلا وضلالاً أو الجنوح الى بعض مصطلحات الفلسفة المثالية. ولكن يجب أن يستفاد من قوة التراث الروحي الصوفي الثقافي ونحوله إلى مبادئ واضحة للأذهان ومناهج موضوعية تصلح زاداً لا ينضب ومعينا لا ينقطع مدده إلى أن زالت تهمة الانعزالية والسلبية والانطواء على النفس والتقوقع من التصوف الأصيل بتحويل قدراتنا ومقوماتنا الروحية وقيمنا الربانية إلى سلاح تواجه به أمتنا الغزو الفكري الصليبي الذى بدأ يدق

طبول الحرب ضد الإسلام ودوله وأقطاره والذي قد بدأ بحرب استنزافية تهدف إلى اختراق الشعوب الإسلامية وتشكيكيها في نفسها؛ وفي قدراتها على الصمود والتصدي؛ وعلى الجهادٍ والمرابطة .. فبدأ بمحاصرة الإسلام متمثلاً في سياسة الحصار والتجويع التي فرضها على العراق وليبيا والبوسنة وأفغانستان والتهديد بفرض هذا الحصار الظالم على بلدان إسلامية أخرى .. إلى غير ذلك من صور الاعتداءات(2).

مبادئ التصوف السني:

والتصوف الإسلامي يدعو إلى العمل في مجال الدعوى الإسلامية بالتحلي بالحكمة والتزام الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ويدعو إلى وحدة العمل الإسلامي ورفض كل أنواع الغلو التعصب والتطرف الديني تمسكاً بروح التسامح الإسلامي، ليس مع المسلمين فحسب، وإنما مع جميع المنصفين من أتباع الديانات السماوية الأخرى، كما أننا نرى أن ارتباط برامج الدعوة بمناهج التربية في الدول الإسلامية ضروري في هذه المرحلة.

فيجب استلهام قيم ومبادئ التصوف الإسلامي في مناهج التربية والتعليم في جميع الأقطار الإسلامية حتى ينشأ جيل مشبع بروح التدين والالتزام، جيل يملأ الفراغ في كل المجالات ثقافياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً حتى تحدث تغييراً إيجابياً في المراكز والمعاهد والمؤسسات، على مستوى الحكومات أو الأهالي، وحتى في الساحة السياسية بين الساسة والمجتمع، وبين الساسة أنفسهم في تغيير السلوك، وأسلوب التفاعل بذا يستطيع التصوف {بناء الشخصية المعاصرة}، وبذلك تتحول الزوايا إلى مراكز إشعاع تعمق روح الاعتزاز بالعقيدة والتسلح بالإيمان ومقتضيات اليقين والتقوى وتكون الأمة بأمن وسلام وتنتج ثمرة ***«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...»***.

والتصوف السني يعد سند التغيير لبناء الشخصية المعاصرة الفاضلة، وكل مشروع سياسي لابد أن يوازيه مشروع صوفي إن لم يسبقه أو يبشر به. وهذا التصوف هو ثقافة محملة بالقيم والمعاني في إطار نظرة استشرافية يواصل حي مع الماضي، إذا لابد من التأسيس لحركة التصوف أن تساهم في نقد وهندسة الأسس الفكرية لكل اختيار مرحلي أو بعيد المدى وهذا التفاعل بين المتصوف ومحيطه هو الذي يجعل الأمة قوية أيضا وصامدة في كل التحديات.

إن النجاح الاقتصادي لأي مجتمع يرتهن بنجاح الثقافة حتى ذهبت فلسفة الارتقاء إلى التأكيد على الدور الأساسي للتصوف في تقدم المجتمعات واشتقت العلوم الإنسانية نظريات ذهبت إلى القول أن العامل التصوفي يتصدر العوامل كلها من حيث تأثيره في حياة المجتمع الحاضرة والمستقبلية. (3)

لقد أصبحت في العصر الحاضر العلاقة العضوية بين التصوف والتنمية حقيقة ثابتة يعتمدها جميع الدول على سبيل المثال في السنغال – المناسبات الدينية- التصوف يلعب دور كبيرا من الناحية الحضارية والثقافية لترسيخ القيم الفاضلة، المولد النبوي، الحفلات الدينية والاجتماعية، يد التصوف لها أثر كبير.

ولهذا لابد أن يكون التصوف في العصر الحديث عنصرا أساسيا في حياة كل فرد في أي مجتمع بناء على تصحيح العقائد والتوجيهات لدى المعتنقين بهذا المنهج {منهج التصوف}.

التنمية هي إستراتيجية لها أبعاد ثقافية أساسية تستهدف الخير والرقي للبشرية؛ وذلك ما جعل للتصوف هذه الأهمية.

ومن خلال هذه الرؤية المتقدمة يعتبر التصوف سندا للتنمية وقاعدا لانطلاق النهضة الشاملة بالإنسان؛ حيث لا يشكل فقط مجرد قطاع معرفي أو مجال إبداع.

٢- التصوف الاسلامي وبناء الأمة - التصوف الاسلامي ودوره في حماية مقومات بناء الأمة الاسلامية راجع موقع: http://www.aktab.ma بتصرف الباحث

٣ - هادي جوف، أثر الأدب الصوفي في نشر اللغة العربية في السنغال دراسة وصفية تحليلية

ومجمل القول إن تقدم المجتمعات لن يتقرر عن طريق التشريعات أو العمل السياسي أو الحماس اللفظي فقط بل عن طريق الفكر العلمي الذي يدفع به إلى الأمام، وإن التصوف هو الوسيلة تعتمد عليها المجتمعات الحية في تكوين الأخلاق العامة والأخلاق الشخصية بصورتهما المثالية والثقافية؛ هي وسيلة الأمم والشعوب إلى احترام نفسها؛ والوصول بحياتها الاقتصادية والتنمية؛ إلى حد الكفاية والعفة والقوة وعدم مد اليد إلى

الآخرين.

وفي هذا السياق لابد من رد الاعتبار للعمل الصوفي بترسيخ القيم وتطوير المفاهيم وتعميق الوعي بطبيعة ما يجري في عالمنا من تطورات وتحديات وذلك من أجل أن تكون ثقافتنا الوطنية معبرة عن هويتنا وخصوصيتنا المميزة منفتحة على التجارب الإنسانية ومتفاعلة مع مستجدات العصر في إطار علاقة ايجابية تقوم على صيانة الثوابت الوطنية من جهة وعلى الحوار مع الثقافات من جهة أخرى، ومن خلال الدعم المادي والمعنوي الذي يجب أن يحظى به جميع القطاعات الثقافية حتى يساهم المثقفون بنجاح فاعلية عملية التحول الشامل.

وفي هذا الاتجاه يجب تبني مبادئ العقد العالمي للتنمية الثقافية الذي اعتمد على أربعة أهداف رئيسية هي:

- مراعاة البعد الثقافي في سياسات ومشاريع التنمية
- تأكيد وإثراء الذاتية الثقافية.
- توسيع المشاركة في الحياة الثقافية والنهوض بالتعاون الثقافي الدولي
- تفعيل هذه الأهداف وانجازها وذلك؛ بوضع إستراتيجية علمية وعملية للنهوض بالقطاع الثقافي وبناء القدرات البشرية.

فمن غير المعقول أن يظل التصوف عاجزا عن الفعل التنموي وإهدار الموارد والجهود، حتما يجب أن تكون سياسة التصوف سندا للتغيير وللتنمية مواكبة للمشروع الحضاري للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية؛ سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (4)

دولة ليبيا، وبوصول «معمر القذافي» إلى السلطة في فاتح شتمبر 1969، حرص على الدعوة إلى الرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيح، ولم يكن الإسلام الصحيح ـ في نظره ـ إلا تعبيرا عن عداء للتيار الصوفي

٤- أحمد شوقي.

باعتباره منحرفا عن مبادئ العقيدة السليمة. وكان معمر القذافي يؤسس تصوره على كون العامل الديني ليس عاملا محددا في بناء المجتمعات، وكان يعتبر العامل القومي هو أساس بناء كل تجمع بشري، كما شدد على ذلك في الكتاب «الأخضر»، غير أن الخلفية الحقيقية لعداء معمر القذافي للتيار الصوفي كانت سياسية بامتياز، فهو أراد أن يطمس الدور الأساسي الذي لعبه التيار الصوفي داخل ليبيا من خلال الطريقة {السنوسية}، خاصة وأن هذه الطريقة هي التي شكلت عماد الحركة الوطنية الليبية التي واجهت الاستعمار الإيطالي.

وفي محاولة من معمر القذافي للانفتاح على إفريقيا وفي مراجعة فكرية غير معلنة عن محورية العامل القومي، بدأ يولي أهمية للعامل الديني، وهو الأمر الذي دفعه إلى تغيير مواقفه، خاصة وهو يدرك الحضور القوي للتيار الصوفي في بلدان إفريقيا، تغيير دفعه إلى التخلي عن خيار المناوأة واعتماد خيار التحييد.

وخير شاهد لذلك المؤتمر العالمي حول التصوف في مدينة انجامينا تشاد 1998م (5) بحضور المرحوم (معمر القذافي)، وبحضور المرحوم الخليفة العام للطائفة التيجانية (الشيخ محمد المنصور سه) ابن الشيخ أبي بكر بن الحاج مالك، ورئيس تشاد (إدريس دابي) المضيف للمؤتمر وشخصيات كبار من الشيوخ المتصوفين والسياسيين، وفي تلك المناسبة (ملتقى التصوف الإسلامي العالمي)، وفي رحاب تلك الأرض المسلمة الشقيقة (تشاد) انتهز الخليفة العام للطائفة التيجانية بخطاب مع قصيدة وصف فيهما؛ بأن المسليمن جميعا يجمعهم كلمة واحدة، بعد أن كانوا شعوبا وقبائل، بعد التحية للرؤساء والأمين العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية {محمد أحمد الشريف} والسادة المشيخة والقادة والعلماء، ألقى قصيدة رائية من بحر الكامل؛ فيا لها من رونق الأدب وجمال اللفظ؛ وصف فيها ما هو الإسلام وما حقيقته، وما الذي ينبغي علينا جميعا؛ من أهمية الوحدة والتآخي رغم المسافات، بعد أن استهل بآية في سورة الحجرات: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم...}؛ (6)

وتلك القصيدة لأهميتها ولإشارتها إلى الوحدة والتآخي قام المرحوم معمر القذافي بترجمتها إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية، والقصيدة هي:

هذا هو الإسلام يجمع بيننا
والدين أصدق رابط وشعار
فإذا المسافة فرقت أجسامنا
فقلوبنا في وحدة وخيار
دين يوحد العقيدة لا ترى
جنسا على جنس يفوق لدار
يعطي الحياة سلامة وأمانة
ويبث روح الود والإيثار
زعماء هذا الدين قادة قومه
والله يرعاكم مدى الأعمار
تبنون للمجد صرخا شامخا
بالعلم والإرشاد والأذكار
فإليكم أهدي التحية مثلما
يهدي التحية مسلم للجار
وبمثلكم نعتز نبغي دعوة
فعسى لنا أثر من الآثار
والله أسأل أن يعيد لقاءنا
والسعد كل السعد في الأخيار
قلبي لرؤيتكم صحا متألقا
فرحا بكم في ملتقى الأقمار
ومعمر القذافي عمر ديننا
بجهوده وبجوده المدرار
والله يحفظه وينصر شعبه
ويقيهم من كل شر جار

٥ - المؤتمر العالمي حول التصوف الإسلامي في مدينة أنجامينا- تشاد- الجمعة 1|5|1998م

٦ - سورة الحجرات، آية: 13

والمسلمون يديمهم في وحدة
ويزيدهم قدرا على الأقدار
بالمصطفى والآل والأصحاب من
قد هاجروا والإخوة الأنصار
وعليهم أزكى الصلاة مع السلا
م يعمهم من ربنا الجبار
ما قال منصور ببحر كامل
والدين أصدق رابط وشعار. (7)

ومنذ الإعلان عن استقلال موريتانيا سنة 1960، سعت السلطات إلى اعتماد خيار التعايش مع التيار الصوفي. وقد فرض هذا الخيار نفسه لعدة أسباب:

{1}يتمثل السبب الأول في الحضور القوي للطرق الصوفية قبل بناء الدولة في موريتانيا، فهي التي لعبت دورا أساسيا في الحفاظ على مقومات هوية سكان بلاد شنقيط على المستوى الديني والثقافي والاجتماعي.

{2}السبب الثاني يتجلى في الدور الأساسي الذي لعبته الطرق الصوفية ليس على مستوى تدبير شؤون الناس قبل قيام الدولة فقط، بل على مستوى مواجهة الغزو الفرنسي أيضا.

{3} كان المسؤولون الجدد في موريتانيا بعد استقلال البلاد سنة 1960 من الاستعمار الفرنسي يدركون حجم الرأسمال الرمزي والمادي الذي يتوفر عليه التيار الصوفي، وبالتالي لم يعيدوا إنتاج خياري المناوأة أو التحييد اللذين انتهجتهما دول مغاربية مجاورة، بل فضلوا خيار التعايش مع الطرق الصوفية، وهو خيار كان ينسجم بشكل عام مع توجهات السلطات الموريتانية. (8)

{4} شكلت اعتداءات 11 سبتمبر 2001 وظهور تنظيم {القاعدة العالمي}، الذي كان يضم في صفوفه بعض الموريتانيين، لحظتي تحول في تعامل السلطات الموريطانية مع التيار الصوفي، خاصة بعد تنامي إيديولوجية السلفية الجهادية واستهداف موريتانيا في يونيو 2005 من قبل «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» الجزائرية التي بايعت أسامة بن لادن في 11 ستمبر 2006 واستبدلت اسمها في يناير 2007 بتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد المغرب الإسلامي، فالسلطات الموريتانية شرعت في إعادة النظر في سياستها الدينية، خاصة بعد وصول الرئيس محمد ولد عبد العزيز الذي يسعى إلى انتهاج خيار الاحتواء، وذلك بدفع الطرق الصوفية إلى الانخراط في مسلسل مواجهة التطرف الديني.

رفض جزء من التيار الصوفي الخضوع للأمر الواقع والتحول إلى دعامة لإسلام علماني يجعل من الممارسة الصوفية مجرد ذكر لله وتربية روحية، وهكذا لوحظ حرص بعض الطرق الصوفية على اتخاذ مواقف ذات بعد سياسي واضح، حيث يمكن التمييز داخل هذا التيار الصوفي الذي يسعى إلى استعادة مشروعيته المفتقدة بين تصوف سياسي {مندمج} وتصوف سياسي {احتجاجي}. في غمرة الرغبة في اختزال دور التصوف في مجرد عمل تربوي، بادرت بعض الطرق الصوفية إلى التعبير عن مواقفها في ما يجري في العالم العربي والإسلامي أو الرغبة في المشاركة في الاستحقاقات الانتخابية.. إننا أمام نموذج من تصوف يروم التصالح مع الفعل السياسي من داخل منطق الدولة الوطنية، وهو ما نسميه بالتصوف السياسي {المندمج} الذي تجسد بعض التعبيرات الصوفية في المغرب مثالا معبرا عنه.

كان المغرب سباقا من بين دول المغرب العربي إلى ممارسة الدبلوماسية الروحية، فهذه الدبلوماسية مورست أساسا من خلال الطريقة التيجانية التي تتوفر على الملايين من الأتباع في مختلف دول العالم، خاصة في إفريقيا...

تعتبر الطريقة التيجانية من الطرق الصوفية واسعة الانتشار، وفي دولة مثل نيجيريا يصل عدد مريدي الطريقة إلى أزيد من عشرة ملايين مريد، علاوة على ملايين الأتباع في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا ومالي والسنغال وبوركينافاسو

٧ - محمد المنصور سه، المؤتمر العالمي حول التصوف الإسلامي في مدينة تشاد، 1|5|1998م.

٨ - راجع موقع http://www.maghress.com/almassae/ بتصرف الباحث

وساحل العاج وغينيا... إلخ. ويقدر عدد أتباع الطريقة التيجانية في السنغال بأكثر من 5 ملايين نسمة، أما في باقي بلدان الغرب الإفريقي فيقدر عددهم بحوالي مليونين في موريتانيا، وفي غينيا كوناكري بحوالي 400 ألف، وفي ساحل العاج بحوالي مليونين و400 ألف، وفي نيجيريا أكبر ب32 مليونا و250 ألفا ـ من 120 مليون نسمة في البلد كله ـ ويبلغ عددهم في النيجر 3 ملايين و600 ألف ـ من 5 ملايين نسمة ـ وفي مالي حوالي 3 ملايين و600 ألف من أصل 19 مليون مسلم، ويبلغ عدد سكان مالي أكثر من 21 مليون نسمة.

وطد المغرب علاقاته ببعض حكومات غرب إفريقيا، كالسنغال بالتحديد، وبعض دول الساحل جنوب الصحراء، كمالي والنيجر، عبر احتضان أتباع الطريقة التيجانية الذين يشكلون قوة ضاغطة على حكوماتهم. وهذا الاحتضان لا يقتصر على كون أبي العباس أحمد التيجاني، مؤسس الطريقة، هو دفين مدينة فاس المغربية، بل يمتد ليشمل تنظيم مؤتمرات عالمية لأتباع الطريقة التيجانية في مدينة فاس كان أولها سنة 1987 وتقديم الدعم بكل أنواعه إلى الزوايا التابعة لهذه الطريقة في دول غرب إفريقيا، إضافة إلى استدعاء ممثلين لهذه الطريقة من السنغال للمشاركة في إلقاء الدروس الحسنية التي يحتضنها القصر الملكي في شهر رمضان من كل سنة. (9)

للسنغال خصوصية ثقافية في القارة الإفريقية، فقد اختارها الاستعمار الفرنسي لتكون مركزًا للتغريب والفرنسة والفرانكفونية. والسنغال وكر العلمانية، سبب ذلك أن الاستعمار الفرنسي كان يركز على الجانب الثقافي، وقد اعتبر السنغال مركزا لعمله الثقافي في أفريقيا، ودستور السنغال ينص على العلمانية؛ رغم أن الغالبية العظمى للبلاد مسلمين، وكبار رجال الدولة وقادتها الكبار والصغار تربوا في باريس وتم صياغتهم ثقافيا بمعرفة فرنسا.

ولكن هذه الثقافة الفرنسية غلبت عليها الثقافة الصوفية، لعلّ شكليا ثقافة المستعمر هي المسيطرة، ولكن في المضمون العكس، وذلك بسبب الدارات القرآنية التي أسسها المتصوفون الإسلاميون والجمعيات الإسلامية، مع أن الشيوخ لعبوا دورا كبيرا في ترسيخ القيم الأخلاقية قبل الاستعمار قد سابقوه، لذلك لم تؤثر التأثير الذي كان من نواياه.

وللإسلام وثقافته وجود متميز في السنغال، وبالتالي فإن العمل الإسلامي هناك خصب وثري. فالجمعيات المنخرطة في حقل العمل الإسلامي في السنغال يمكن حصرها في ثلاثة أنواع من الجمعيات..

النوع الأول: هي الجمعيات الصوفية، ونحن نعرف أنه كان لهذه الجمعيات دور كبير في انتشار الإسلام في أفريقيا، وإذا كنا نأخذ عليها كثيرا من المآخذ الفكرية والعقائدية، إنما لا يمكننا أن ننكر دورها التاريخي.

النوع الثاني: هو الجمعيات الثقافية الإسلامية التي تركز على الجانب التعليمي فقط وهي تؤدي دورا لا يستهان به في خدمة الإسلام.

أما النوع الثالث والأخير من هذه الجمعيات فهي الجمعيات الإصلاحية التي لها رؤى فكرية وإصلاحية شاملة، ومن هذه الجمعيات ما يأخذ المنهج السلفي، ومنها ما يأخذ المنهج الشيعي، ومنها ما يأخذ المنهج الشامل، بالإضافة إلى اتحاد الطلبة المسلمين الموجود في الجامعات والمدارس الثانوية، وله نشاط جيد في صفوف الشباب؛ ويشكلهم إسلاميا في هذه السن الحساسة.

وكان الاهتمام بقضايا الثقافة أمرا يتصدر جملة الجهود المبذولة في مجال الفرنسة، ويأتي في مقدمة الأولويات المتصلة بها باعتبارها هدفا استراتيجيا في حد ذاتها وأداة ضرورية مباشرة لإنجاح الفرنسة، ومن ثم أعلنت الإدارة الاستعمارية أن إنقاذ إفريقيا تم بفضل اللغة الفرنسية؛ وأنه لا مستقبل لها إلا

---

٩ - محمد ضريف، التصوف المغاربي.. نحو دبلوماسية غير مصنفة 2\06\2011م

في ظل تعميم الفرانكفونية على الجميع، ثم أعلنت بعد ذلك أن نشر تلك اللغة يعد شرطا ضروريا، لأمن المستعمرات واستقرارها.(10)

ولكن فَهِمَ مبكرا الشعبُ السنغالي بأن هذه الدعوى وهذه الدعاية من قبل المستعمر دعوى كاذبة، فرفض الشعب بتتبع هذه الإستراتيجية التي مهدها الاستعمار، فخابت الإدارة الفرنسية بالفشل.

والأمر الثاني الإسلام لما جاء وجد الشعب السنغالي بنفس السجايا والأخلاق الحميدة التي يدعو إليها، وثقافة الإسلام توافق وتنسجم مع ما ألفوه من العادات؛ كتكريم الضيف وحمايته، واحترام حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وضرورة احترام المرأة والمستضعفين وغيرها.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدور الذي لعبه الشيوخ السنغاليون في نشر الثقافة الإسلامية.

ويمتلئ تاريخ السنغال بالشيوخ ذوي القيمة العالية، علماً وعملاً وورعاً، وتتميز هذه الجماعة بكونها تجمع بين الزهد ومواظبة الذكر، والتمسك بتعاليم الإسلام قولاً وعملاً، وتمتهن التدريس فضلاً عن أنها ـ بعد ظهور الطرق الصوفية ـ أصبحت عميلاً نشطاً لها، وقد يتخلل ذلك كلّه تعاطي علم الخواتم...

وهي فئة مثلى من بين طوائف الشيوخ في السنغال لما أدّت من دور تاريخي، وقد سبق أن ذكرنا بعضاً من نشاطاتها.

وفي الحقيقة ما كانت تركن إلى الاستكانة والكسل والتواكل والاعتماد على جاه الأجداد، بل كانت نشطة منتجة ناشدة نعماء الله تعالى بالأسباب المشروعة، وبالوسائل المعروفة العادية الطبيعية، علاوة على كون أغلب أفرادها من العلماء، وكانت لذلك محطّ تقدير لدى العامة.

الطّرق الصوفية الرئيسة الأربعة في السنغال هي التجانية والمريدية والقادرية واللاهينية. هذه الطرق أدت دوراً كبيراً. وبالنسبة للطريقة التجانية فهي أوسع الطرق انتشارا في السنغال.وفيها تيّارات مختلفة، تلتزم بالمبادئ التجانية نسبة إلى أحمد التجاني الشريف ـ قد تحدثنا عنه سابقاً ـ وهو فاسي ولد في الجزائر وعاش في المغرب. علماء هذه الطريقة بدءا من حامل اللواء في الجهاد الشيخ عمر الفوتي، والشيخ الحاج مالك سه عليه رضى المالك باستراتجياته في تربية نفوس المسلمين بالتعليم والإرشاد، وقال في همزيته {ولا تركن}:

على كل متبوع دلالة تابع

ما هو أجدى لا لجلب عطاء

وتعليمهم فرض ولو بإجارة

وإلا فعليك الاثم يوم لقاء

وتفقهنا فسق بدون تصوف

وكن سائل التتميم دون رداء

يتلخّص دور الشيخ في المجتمع السنغالي في نشر العقيدة الإسلامية والأفكار الصوفية، والقيام بتربية الصغار وتعليم الكبار، وتنسيق الأعمال الاجتماعية والدينية من إمامة ورئاسة حفلات: عقد قران، وعقيقة، وجنازة، وأحياناً يتقمص دور الكاهن في المجتمع التقليدي من حيث طمأنة أفراد مجتمعه من هيجان قوى الطبيعة، وإبطال مفعول السحر السود، بل الشيخ عامل توازن هام في المجتمع السنغالي؛ يتوسط بين الفرقاء، ويسوّي المنازعات العائلية، ويفضّ الخصومات، ويصلح ذات البين؛ على أن نجاحه وفشله منوط بقوة شخصيته، ومدى اتساع صيته، وأصوله الاجتماعية، ووضعه الاقتصادي.

وحسب دستور السنغال فإن الدولة علمانية لا تتلون بأي صبغة دينية، لكن ذلك لم يمنع من مشاركتها في حياة الطوائف الدينية الإسلامية والنصرانية، ولا يتصور أن تقف متفرجة أمام قوى روحية واقتصادية واجتماعية متنامية دون أن تحاول احتواءها أو الاستفادة منها، خوفاً من إفلات زمام الأمور من يدها والاتجاه بها إلى ما لا يرضيها ولا تحمد عقباه.

١٠- د عبد العلي الودغيري الفرانكفونية ص 31، الرباط 1993م

تتركب طائفة الشيوخ من فئات عديدة لأنّ هذه الكلمة تطلق على كل من هبّ ودبّ، ففيها الصالح كما فيها الكثير الطالح.

المولد النبوي الشريف والحفلات الدينية:

يلعب المولد النبوي الشريف، والحفلات الدينية دورا كبيرا في المجال الاجتماعي؛ وهذا الدور يبرز في اللقاءات، وتجمع الشعب لدى الأماكن التي فيها الحفلات مثل مدينة {تواون} ومدينة {كاولخ}، والمدن السنغالية في مناسبة المولد النبوي الشريف، (12 ربيع الأول)، كما يحدث هذا التجمع الكبير في مدينة (طوبى) بمناسبة الذكرى لقدوم الشيخ

أحمد بمبا من منفاه .

الحكومة السنغالية تقوم بمرافقة المجتمع بمساعدات من حيث الأمن والاستقرار، وعلى الصعيد المادي تقوم السلطات الرسمية بتقديم مختلف التسهيلات إبان مواسم هذه الحفلات: توفير المياه الصالحة للشرب، ونصب الخيام، وتعبئة العشرات من رجال الشرطة والدرك لحفظ النظام، والرعاية الطبية، وتقديم مبالغ نقدية لدعم المهرجانات الطرفيه، منح تصريحات جماعية للعمال والموظفين الراغبين بالمشاركة في تلك المواسم، تغطية إعلامية واسعة: إذاعة وتلفزة وصحف... ومقابل هذا تجني الدولة فوائد جمّة: إذ تهتبل المواسم الطرقية فرصة لتلتمس من زعمائها استخدام نفوذهم لدى أتباعهم كي يوفوا بما عليهم من ديون، مثلما تتوصل بهم لتطبيق قرارات إدارية يصعب تنفيذها دون تدخلهم؛ ويتكشف التماس رضاء الزعامات الطرقية يوماً بعد يوم، لا سيما إبان الحملات الانتخابية ـ نيابية أو رئاسية ـ إذ يكفي أحدهم أن يذكر بخير زعيم هيئة سياسية حتى يتهافت أتباعه للتصويت لذلك الزعيم وتلك الهيئة السياسية... وقد نتج عن هذا الوضع أن أصبح زعماء كبريات الطرق سياسيين يشاركون بشكل ملحوظ في اتخاذ القرارات الهامة في الدولة.

والأمر الثاني لقاء تلاميذ تلك الحضرة الإسلامية يزيد المحبة والتآلف والتكاتف فيما بينهم، علاوة على ذلك الخطاب الديني الذي يتلقون في المناسبة، بما يفيدهم في دينهم ودنياهم. وزيادة المحبة والاقتداء بمكارم أخلاق سنة الهادي صلى الله عليه وسلم. وأقرب دليل مولد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام 2018م برئاسة الشيخ أبي بكر منصور سه الخليفة العام للطائفة التيجانية الذي دعا المجتمع في خطابه المبني على شعار المولد في ترسيخ السلام بين أبناء المجتمع بفئاته المختلفة، والتحلي بروح التسامح والإخاء والمحبة؛ ثقافيا واجتماعيا وسياسيا. وكان خطاب الخليفة جميلا في غاية الروعة والحقيقة جذابة؛ تركت شعورا عميقا وأثرا تبقى في نفوس المجتمع؛ وخاصة الذين يخوضون في مجال السياسة.

وعلى أرض الواقع يبقى المشايخ أو «الزعماء الدينيون» ـ كما يسمون بالسنغال ـ فوق الجميع ، وأقوى من الإدارة العمومية غالبا.. ويحكمون توجهات ساسة هذا البلد العلماني، وهو واقع لا يبدو أن تغييره وارد في الأفق المنظور على الأقل، بل إن الانتخابات الرئاسية والبرلمانية والانتخابات المحلية يبدو فيها؛ مدى أهمية المعطى الصوفي في الحياة السياسية السنغالية ومدى تأثيره في حياة الناس العامة.

ولا ننسى جهود الصحوة الإسلامية بمختلف منظماتها الخيرية بدت أكثر اهتماما بالموارد الذاتية والداخلية بعد حملات الإغلاق بحق المنظمات الإسلامية الخيرية ومنظمات الإغاثة الإنسانية مثل جمعية العطاء الخيرية والجمعية الخيرية الإسلامية بلوغا التي تقوم ببناء مساجد ومدارس وبيوتا لكفالة الأيتام وحفر آبار في أنحاء البلد،وجمعية الوسط، وغيرها من الجمعيات ذات الطابع الإسلامي؛ بعد تبني غالبية دول العالم لشعارات مكافحة الإرهاب وقطع سبل تمويل مشروعات الكفالة للاجئين وفقراء إفريقية والمسلمين. (11)

التصوف السني ـ الحضارة والثقافة:

الحضارة والثقافة هما اللتان تجمعان بين الشعوب داخليا وخارجيا، والطرق الصوفية أدت دورا كبيرا في الجمع بين الشعوب الإسلامية في السنغال، على شكل الدوائر والمؤسسات والجمعيات مما شكلت علاقات بين المجتمع في التعاون والتآخي، والتآلف؛ من باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم: {مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عدو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى}. فبذا قام هؤلاء الشيوخ المتصوفون وكان هدفهم الأساسي في تلك الحركات توحيد الفئات المسلمة تحت كيان سياسي موحد، ومحاولة إيقاف كل ما يؤدّي اضطرابات داخلية على مستوى الأسر؛ وعلى مستوى الحي، وكذلك على مستوى الحكومة، حتى أصبحوا همزة وصل بين السلطة الحاكمة والمعارضة، عن سد الاختلافات والنزاعات، ودعوة الجميع إلى طاولة مستديرة للوصول إلى التفاهم والتوافق، وإقامة حكومة تحالفية لخدمة الوطن.

وهذه العلاقة تتجلى في المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف والحفلات الدينية والعائلية؛ حيث يتعاقب الوفود للمشاركة مع أصحاب الحفلات، وذلك من محاسن القيم الأخلاقية الرفيعة التي بنّاها الأجداد الشيوخ الأجلاء.

ولا يمكن أن ننسى دور الجمعيات الدينية في ترسيخ القيم وربط العلاقة بين المسلمين، ولكن الخلافات الجانبية بين هذه الفئات من المتصوفين والجمعيات الإسلامية تؤدي أحيانا إلى سوء التفاهم وتعرقل الجهود لكلا الجانبين، والمؤسف الشديد هو مشكلة الهلال (قضية رؤية الهلال)، الفساد الاقتصادي والمالي:

منها سلسلة الإفلاس التي ضربت كبرى المؤسسات الاقتصادية السنغالية تشكل العمود الفقري للاقتصاد السنغالي.. بسبب الاختلافات الموجودة في تعدد الأعياد ـ عيد الفطر وعيد الأضحى مما يؤدّي عدم الشغل للدولة والموظفين أكثر من ثلاثة أيّام، وهذا التعدد (أزمة اقتصادية للدولة)، وهذا الاختلاف مما يؤسف الباحث وغيره، لأنه بدأ يرى هذا الاختلاف منذ نعومة أظفاره.

على سبيل المثال السنة (2012م)، عيدّ الشعب السنغالي ثلاثة أيام، منهم من عيَّد يوم السبت ومنهم من عيَّد يوم الأحد، ومنهم من عيَّد يوم الاثنين، كل يعمل على شاكلته. رغم أن هناك لجنة لمتابعة ظهور الهلال، ولكن عدم الثقة وعدم الشفافية مما أدّى إلى اختلافهم. فكان داء صعب دواؤه ومعالجته.

١١- المصدر الاسلام اليوم http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=102&catid

(12)

مع أننا جميعا في قبلة واحدة وكعبة واحدة، ورسول واحد وكتاب واحد وهو {القرآن الكريم}.

والسؤال الذي يطرح نفسه: من الذي على الصواب؟، أصلا لا يوجد في الدين الإسلامي تعدد يوم الإمساك ولا تعدد يوم عيد الفطر. وسنة الرسول {صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته} أو برؤية العدلين.

وهذا الاختلاف إن دل على شيء فإنما يدل على علمانية الدولة، يعني فصل الدين عن الدولة، وبأن حكومة السنغال لا تهتم بأمر المسلمين إنما هي لمصلحة نفسها. والدليل على ذلك الرئيس السنغالي {مكي صل} الذي كان الشعب ينتظر منه أن يأتي بجديد، وهو من الذين عَيَّدُوا يوم الاثنين؛ لما سئل بقضية الاختلاف في تعدد الأعياد؛ أكدّ بأن (13): (السنغال دولة علمانية، وأنه لا يتدخل فيه، كل على شاكلته، المبادرة الأولى لابد أن يأتي من قبل العلماء {الشيوخ السنغاليين} بذا تتمكن الحكومة بالتعاون معهم)، وهذا القول غير وجيه، لأن الشعب لم يكن منتظرا بهذه العبارات بل العكس؛ هو على الرئيس الجمهورية أن يأخذ قرارات صارمة لحل هذه القضية، أبسط شيء هو تعيين {وزير للأوقاف}ليقوم بالعقد والحل لأمور المسلمين. ومن المستغرب في بلد 95 في المائة مسلمون وليست للدولة {وزارة للأوقاف}.

والأمر الثاني ندرك بعبارات فخامة الرئيس بأن السلطات تتحفظ وتتخوف الخوض في محيط دائرة الشيوخ المتصوفين، إن دل على شيء فإنما يدل على سيطرة التصوف

التصوف ودوره الدبلوماسي:

أما فيما يخص الدور الدبلوماسي الذي تقوم به الزاوية التيجانية في تكييف علاقة إفريقيا بالمنطقة المغاربية خاصة مع المغرب، وبدرجة ثانية الجزائر؛ يمكن القول بأن هذه الزاوية تلعب دورا هاما ومحددا لا يستهان به في توجيه هذه العلاقات الإقليمية.

ففي الاجتماع الذي كان للمنتسبين إلى الطريقة التيجانية الذي عقد بالعاصمة الروحية والثقافية (فاس) أواخر شهر يونيو 2007م، أكد كل التيجانيين الأفارقة على الدور الذي تقوم به هذه الزاوية في تمتين الروابط الخاصة بين المغرب وإفريقيا. وفي هذا السياق صرح المدير العام السابق لليونسكو السنغالي السيد «أمادو مختار امبو»بأن الطريقة التيجانية اطلعت بدور جوهري في التقريب التاريخي بين المغرب وإفريقيا ولاسيما السنغال، كما أكد بأنه إذا كانت العلاقات بين المغرب وإفريقيا جد عريقة، فإنها تعززت بفضل الطريقة التيجانية ،وفي نفس الإطار أشار من جانبه السيد «الشيخ عبد العزيز سي الإبن» الناطق باسم الخليفة العام للتيجانيين: (بأن الطريقة التيجانية ساهمت بشكل كبير في إشعاع الإسلام واللغة العربية بإفريقيا، وأن دورها الهام في تعزيز الدبلوماسية الشعبية بين الشعب المغربي والشعوب الإفريقية معروف من لدن الجميع).(14)

ولا ننسى مجهودات الشيخ (إبراهيم نياس) الكولخي الذي استطاع نشر هذه الطريقة في أوساط الدول الإفريقية في النيجريا والنيجير وتشاد والسودان، وغيرها من خارج السنغال، وهذا المرحوم حفيده (الشيخ حسن علي سيسي) ـ 1945ـ2008مـ الذي لعب دور كبيرا في نشر الطريقة التيجانية في الولاية الأمريكية، وتكوين وترسيخ القيم والأخلاق الحميدة في أبناء الولايات المتحدة الأمريكية، التصوف السني هو المخرج الحقيقي من المشكلات

د. هادي جوف

مدرسة بروم دارج المرحوم الشيخ محمد المنصور سه

١٢- الاختلاف في رؤية الهلال لعيد الفطر المبارك 2012م

١٣- تصريحات الرئيس السنغالي مكي صل بمناسبة عيد الفطر المباركة 2012م في مقابلة مع الصحفيين بعد أداء سنة العيد. في مصلى الجامع الكبير بالعاصمة السنغالية {دكار}.

١٤- وكالة المغرب العربي للأنباء : الطريقة التيجانية لعبت دورا متميزا في تمتين الروابط الخاصة بين المغرب وإفريقيا. دكار 27/06/2007.

مَشْرَبِي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد بني البشر، سيدنا محمد أفضل بني مضر .

وبعد : فهذه قصيدة من قريحة عبيد ربه وخديم شيخه ***الحاج مود مالك صو بن الحاج محمد*** لازال في لطف ربنا الصمد، يمدح فيها مدينة تواوون المحروسة ويبين ما فيها من المزايا والأنوار بيمن مجاورة زين الدين والملة الحاج مالك بن عثمان وذريته المباركة وخلفائه الكرام البررة، فقلت:

تَـوَاوُونُ دَارُ الْعِلْـمِ وَالنُّـورِ مَشْرَبِـي ... فَفِيهَا ضَرِيحُ الْقُطْبِ شَمْسِ الْاَهِلَّةِ

تَيَمَّمْ بِهَا يَا صَاحِبِي تَنَلِ الْمُنَى ... وَزُرْ مَالِكًا بَحْرَ الْعُلُومِ وَحِكْمَةِ

وَجُثْ مُتَأَدِّبًا أُخَيَّ مُنَاجِيًا ... تَنَلْ بِقَضَاءِ اللَّهِ كُلَّ العَطِيَّةِ

وَمِنْ بَعْدُ شَرِّقَنْ إِلَى نَجْلِهِ الرِّضَى ... خَلِيفَتِهِ شَمْسِ الْهُدَى فِي الدُّجُنَّةِ

وَصَرِّفْ عِنَانَ الْعَزْمِ نَحْوَ خَلِيلِهِ ... هُوَ الْقُطْبُ دَبَّاغُ الْقُلُوبِ لأُمَّةِ

وَأَمْعِنْ بِنَظْرٍ نَحْوَ شَرْقِ شِمَالِهِ ... تَرَى قَصْرًا فِيهَا ضَرِيحُ الْخَلِيفَةِ

أَبِي الدِّينِ مَنْصُورُ الذِي شَاعَ صِيتُهُ ... بِعِلْمٍ وَجُودٍ رَأْفَةٍ وَمَهَابَةِ

فَهَرْوِلْ إِلَى الْمَكْتُومِ عِنْدَ ضَرِيحِهِ ... كَذَا صِنْوُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِسُرْعَةِ

فَهُمْ خُلَفَاءُ الشَّيْخِ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِ ... فَجَازَاهُمُ رَبِّي إِلَهُ الْبَرِيَّةِ

هُنَا مَرْكَزُ الْأَنْوَارِ بَلْ قِبْلَةُ الْوَرَى ... مَطَافٌ لأَهْلِ الذَّوْقِ مِنْ دُونِ مِرْيَةِ

هُنَا سُلَّمُ الرَّاقِينَ بَعْدَ فَنَائِهِمْ ... وَطَمْسٍ[1] وَمَحْوٍ[2] بَلْ مَقَرُّ الْخِلَافَةِ

هُنَا نُزْهَةُ الْأَقْطَابِ مِنْ بَعْدِ سَيْرِهِمْ ... وَدَائِرَةُ الْأَفْلَاكِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَى سَعِيدًا مُسَلَّمًا ... فَصَدِّقْ مَقَالَاتِي بِإِخْلَاصِ نِيَّةِ

فَمَرِّغْ خُدُودًا بِالْمَحَبَّةِ فَانِيًا ... وَلَا تَلْتَفِتْ لِلْغَيْرِ تَظْفَرْ بِمُنْيَةِ

وَمَا شِئْتَ سَلْ مَوْلَاكَ تُعْطَ بِيُمْنِهَا[3] ... فَهَذَا الْمَقَامُ مَوْضِعٌ لِلْإِجَابَةِ

أَيَا أَرْضُ قَدْ حُزْتِ الْمَفَاخِرَ وَالْعُلَى ... أَلَا فَافْخَرِي بَيْنَ الْبِقَاعِ بِتُرْبَةِ

فَلَا زِلْتَ مَأْوًى لِلْمَسَاكِينِ سَرْمَدًا ... بِيُمْنِ أَبِي الْمَنْصُورِ تَاجِ الْأَئِمَّةِ

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى شَافِعِ الْوَرَى ... وَءَالٍ وَأَصْحَابٍ نُجُومِ الْبَرِيَّةِ

1 الطمس:فناء صفاته في صفات الحق
2 المحو: فناء أفعاله في أفعال الحق
3اي بيمن المدينة